أبو الحسن علي القلصادي وجهوده في علم الفرائض

د. نصيرة دهينة

أستاذة محاضرة -كلية العلوم الإسلامية

-جامعة الجزائر-

مقدمة:

الحمد لله الوارث المحيي المميت الباعث والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى أفصح من كشف الغوامض وأعدل من قسم الفرائض وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، أما بعد :

فإن علم الفرائض من أجل العلوم الشرعية وأشرفها، تولى الله قسمته بنفسه، وبين أحكامه في كتابه، فلم يكله إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل، وحض الرسول ﷺ على تعلمه وتعليمه والعناية بفهمه،كما اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بتحصيل علم الفرائض كسائر العلوم، ونبغ منهم فيه واشتهر به أربعة هم: زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

والعلم يرفع بموت العلماء، وعلم الفرائض أول شيء ينسى، ونسيانه إما أن يكون من حيث التطبيق العملي والتزام الناس بهذه الأحكام، وإما يكون من حيث العلم والتعليم.

لذلك تعهد العلماء سلفا وخلفا بخدمة هذا العلم بالتأليف والتدريس والتصنيف نظما ونثرا جزاهم الله عن المسلمين خيرا.

وقد راعى المؤلفون تفاوت مستوى الطلبة والقراء الذين توجه إليهم التآليف فكان منهم من يصنف للمبتدئين ، ومنهم من يصنف لذوي المستوى العالي في الفن المقصود ، ومنهم من يؤلف في العلم الواحد أكثر من كتاب تقديرا لمختلف الدرجات العلمية .

ومن هؤلاء " **أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي** " الذي اشتهر بعلم الفرائض وكثرت مؤلفاته فيه .

كان القلصادي موسوعة في العلم والمعارف ، عرف بسعة العلم وشدة الذكاء، كما عرف بكثرة أسفاره، فقد جاب المدن والقرى وركب البر والبحر لملاقاة الشيوخ وطلب العلم، برع في فنون شتى منها الفرائض والفقه والحديث والنحو والعروض والمنطق والتصوف والتراجم وغيرها ...مع نبوغ أصيل في الرياضيات التي أضاف إليها وأبدع فيها وارتفع بها ، وهو آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الأندلس.

وكان الدافع للكتابة عن القلصادي هو إبراز جهوده في علم الفرائض، خاصة وأن معظم من كتب عن القلصادي ركز على تفوقه في علم الحساب.

أولا: اسمه ونسبه ومولده:

هو أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي[1] الأندلسي الشهير بالقلصادي [2].

ولد سنة 815هـ/ 1412م بمدينة بسطة بالأندلس جنوب اسبانيا اليوم التي قال عنها في رحلته " وبرحلتي من بسطة مسقط رأسي وموضع أول أنفاسي مقر الألفة والأنس من جزيرة الأندلس...." [3]

ثانيا :نشأته وطلبه للعلم:

عاش القلصادي في بسطة مسقط رأسه ، نشأ فيها وترعرع، حفظ القرآن الكريم، درَس العلم كغيره من طلبة العلم وأخذ عن كبار علماء بسطة، ثم انتقل إلى غرناطة فاستوطنها وطلب العلم فيها، نبغ القلصادي في علم الحساب والفرائض كما درس الفقه على علماء غرناطة فأصبح فقيها من فقهاء المالكية [4].

ثالثا :رحلاته العلمية:

قام القلصادي برحلة لطلب العلم في المغرب الإسلامي وبلاد المشرق بدأها سنة 840هـ، وكان هدفه المعلن هو زيارة الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، كانت وجهته الأولى تلمسان التي قضى بها ثماني سنوات أخذ خلالها علوما شتى منها الفرائض والفقه والأصول واللغة .

ثم اتجه إلى وهران التي لم تطل إقامته بها ، ليشد الرحال مرة أخرى إلى تونس التي أقام بها سنتين ونصف السنة فأخذ عن شيوخها التفسير والفقه والحديث، وفي الوقت ذاته كان يقوم بتعليم الناس ، تحول القلصادي إلى جربة فمكث بها مدة شهر وبعضه، بعدها أخذ البحر إلى طرابلس المغرب ومنها إلى الإسكندرية فالقاهرة التي وصلها سنة 850هـ وقصد فيها الجامع الأزهر ومكث مع الجالية المغاربية أين أنس بلقاء زميله الجزائري ...رفيقه في المدرسة بتلمسان أبي الفضل المشدالي ولم تطل إقامته بمصر فتابع رحلته إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، فأخذ عن شيوخ الحجاز ، كما قام في هذه الأثناء بشرح فرائض ابن الحاجب.

وفي سنة 853هـ عاد القلصادي إلى مصر، وتزود من علم شيوخها ، ومكث بها سنة كاملة، قرر بعدها الرجوع إلى بلده، فتوجه إلى طرابلس ومنها إلى تونس، واستغرقت إقامته بها سنة كاملة، أخذ عن شيوخها واشتغل بالتأليف وصنف كتاب الكليات في الفرائض وشرحه .

ثم غادر تونس متوجها إلى وهران ثم إلى تلمسان التي لم تطل إقامته بها ، ومن تلمسان إلى ألمرية ومنها إلى بسطة ليستقر ببسطة ويأخذ عن شيوخها ، ومنها إلى غرناطة حيث طابت له الإقامة ، لكن حروب الأمراء اضطرته إلى الهجرة ليستقر نهائيا بمدينة باجة، ويتفرغ للتأليف، وبها أنجز أهم أعماله [5].

رابعا: شيوخ القلصادي:

تعد رحلة القلصادي التي دون فيها مشاهداته وعرف فيها بالعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم العلم من أهم مصادر الترجمة ، ويكون ترتيبهم حسب رحلته العلمية [6] .

1- شيوخ القلصادي ببسطة :

- **علي بن عزيز:** أبو الحسن من أهل بسطة كان له اعتناء بقراءة القرآن ،قرأ عليه القلصادي القرآن الكريم وجوده على يديه ، توفي سنة 844هـ

محمد القُسْطُرلي: أبو عبد الله له مشاركة في عدة علوم منها الفقه و الحديث والعربية وغيرها، جود عليه بعض الكتاب العزيز وقرأ عليه أرجوزة ابن البناء في الحساب ... توفي سنة 844هـ .

- **أبو بكر البيّاز:** خير الدين، من أهل بسطة، جود عليه بعض الكتاب العزيز وقرأ عليه أرجوزة ابن بري في الحساب، توفي خلال منتصف القرن التاسع الهجري .

محمد البيّاني: قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني وأواخر ألفية ابن مالك وكتب أخرى .

جعفر بن أبي يحيى: أبو أحمد، له اعتناء بعلم الفرائض والعدد ، قرأ عليه الأرجوزة التلمسانية وفرائض الحوفي وفرائض عبد الغافر .

اللخمي: أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله اللخمي الشهير بالقرباقي ، مفسر محدث أصولي، قرأ عليه القلصادي بعض التفريع لابن الجلاب وجميع التلقين للقاضي عبد الوهاب ، توفي ببسطة سنة 844 هـ .

2- شيوخ القلصادي بتلمسان:

ابن مرزوق الحفيد : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، مفكر أصولي مفسر محدث حافظ مجتهد حجة في المذهب المالكي، قرأ عليه كتابه في الفرائض، والتلقين للقاضي عبد الوهاب وغيرهما من الكتب ، توفي سنة 842هـ .

عيسى الرتيمي: أبو مهدي، أحد علماء عصره وفريد دهره في الفرائض والعدد ، قرأ الحوفي على والده ست مرات، وقرأه القلصادي عليه .

محمد الشريف: قرأ عليه تلخيص المفتاح ، ومفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول[7] .

يوسف الزيدوري: أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل له مشاركة في علوم الرياضيات، قرأ عليه فرائض الحوفي وتلخيص ابن البنا وغيرهما ، توفي سنة 845هـ .

محمد بن النجار: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن النجار، كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية، قرأ عليه بعض مختصر خليل وبعض ابن الحاجب الأصلي، توفي سنة 846هـ .

أحمد بن زاغو: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي الخرزي الشهير بابن زاغو، مفسر أصولي فرضي، من مؤلفاته شرح التلمسانية في الفرائض، قرأ عليه القلصادي منتهى التوضيح في عمل الفرائض من الواحد الصحيح، توفي سنة 845هـ .

قاسم العقباني: أبو الفضل، فقيه من مؤلفاته تعليق على ابن الحاجب الفرعي ، قرأ عليه بعض مختصر خليل، وبعض مختصر المدونة، توفي سنة 854هـ .

3- شيوخ القلصادي بتونس:

أحمد القلشاني: أبو العباس أحمد بن محمد القلشاني، أحد العارفين بفروع المذهب المالكي أخذ عنه صحيح البخاري وبعض صحيح مسلم، وبعض ابن الحاجب الفرعي، توفي سنة 863هـ .

أحمد المنستيري: أبو العباس، مقرئ لغوي نحوي، انتفع به طلبة العلم في تونس، قرأ عليه كتاب المقرب لابن عصفور ، وبعض التسهيل لابن مالك ...

محمد الدهان : أبو عبد الله من شيوخ تونس، له شروح على بعض المنظومات في الطب، قرأ عليه القلصادي أرجوزة ابن سينا في الطب ، توفي سنة 853هـ.

محمد بن عُقاب: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن عباس بن عُقاب ،إمام في الفقه والأصول وعلم الكلام ، قرأ عليه الموطأ لمالك ومختصر المدونة للبرادعي وبعض الرسالة ...توفي سنة 851هـ .

محمد الواصلي: أبو عبد الله محمد بن ميمون الواصلي التونسي ، عالم بالفقه والحديث والأصلين والعربية ، قرأ عليه عند مروره بتونس عائدا من مصر ، توفي سنة 873هـ بتونس .

4- شيوخ القلصادي بمصر:

زين الدين طاهر: زين الدين طاهر بن محمد بن على بن محمد النويري، مقرئ فقيه مالكي أخذ عنه بعض مختصر خليل ، وبعض شرح الشاطبية للفاسي ، توفي سنة 856هـ .

علم الدين الحصني: أبو العباس علم الدين الحصني الشافعي، قرأ عليه كتابه فوائد العقائد في الأصول، كان حيا سنة 851هـ .

قاسم النويري: زين الدين القاسم بن ابراهيم بن محمد النويري، قرأ عليه بالأزهر جميع مختصر خليل ، توفي سنة 899هـ .

الشمني الحنفي: تقي الدين أبو العباس أحمد القسنطيني أصلا ، برع في جميع العلوم، قرأ عليه أكثر المغني لابن هشام وجميع شرحه عليه، توفي سنة 872هـ .

عبد السلام البغدادي: عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن أحمد البغدادي، حفظ كتبا كثيرة في النحو والأصول والفقه والمعاني، قرأ عليه جمع الجوامع للسبكي، وبعض مختصر ابن الحاجب .

الحافظ بن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني أصله من عسقلان، له مصنفات كثيرة في فنون شتى، وهو آخر المحدثين في عصره، قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ ...توفي سنة 852هـ .

محمد الكريمي: محمد بن فضل الله بن المجد أحمد الكريمي الحنفي ،حضر عليه عدة كتب في علوم مختلفة منها الكشاف وحواشيه لسعد الدين والتلويح ..، توفي سنة 861هـ .

جلال الدين المحلي: محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد المحلي، نسبة إلى المحلة الكبرى بمصر، تولى تدريس الفقه، أخذ عنه كتابه جمع الجوامع وأجازه فيه، توفي سنة 864هـ .

5- شيوخ القلصادي بالحجاز:

أبو الفتح الحسن المراغي: المدني الشافعي، أخذ عنه القلصادي وأجازه في بعض كتب الحديث.

6- شيوخ القلصادي بغرناطة:

ابراهيم بن فتوح: أبو إسحاق ابراهيم بن فتوح العقيلي الغرناطي ، كانت له مشاركة في العلوم مع تحقيقها ، قرأ عليه كتبا عديدة في علوم شتى منها: مختصر ابن رشد في الأصول وجمع الجوامع للسبكي ، توفي سنة 867هـ .

محمد السرقسطي: أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري السرقسطي الغرناطي ، كان من أحفظ الناس لمذهب مالك، قرأ عليه الموطأ والتهذيب للبرادعي والتلقين والمدونة وبعض المقدمات لابن رشد ، توفي سنة 865هـ .

خامسا: تلاميذ القلصادي:

بعد أن ظهرت مكانة القلصادي العلمية وفقهه في كثير من العلوم خصوصا الفرائض والحساب والفقه وغيرها ...وفد إليه الطلاب يدرسون عليه كتبه التي صنفها، وشروحه على كتب من سبقوه، فكان يعقد الحلقات العلمية ويتولى الإقراء وتدريس بعض الكتب التي صنفها بنفسه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن من ترجموا للقلصادي أهملوا ذكر تلاميذه ، وممن أخذ عنه بتلمسان :

محمد السنوسي: أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، عالم بالفقه والأصول والحديث، أخذ عن القلصادي الحساب والفرائض، وأجازه في جميع مروياته ، توفي سنة 895هـ .

كما استفاد منه طلبة القاهرة لما عاد من أداء مناسك الحج وأقام بمصر، فقرأ عليه الناس وكتبوا مصنفاته، وكان مع ذلك يتردد على علماء للاستزادة من علمهم

سادسا: مؤلفات القلصادي:

ترك القلصادي مؤلفات مفيدة انتفع الناس بها في جميع البلاد ، مست كل المعارف والعلوم ، جلها في الرياضيات والفرائض والفقه ، إضافة مؤلفات أخرى في النحو والعروض والمنطق والقراءات والحديث والتصوف والتراجم وغيرها ...ومن هذه المؤلفات ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط موزع عبر مكتبات العالم ، ومنها ما يعتبر في حكم المفقود وقت كتابة هذا البحث .

سابعا: مؤلفات القلصادي في علم الفرائض:

ألّف القلصادي في الفرائض عدة كتب راعى فيها اختلاف مستوى طبقات قرائها، فكان له الشروح على مصنفات الآخرين وهو الغالب على مؤلفاته في الفرائض، وكان له التصانيف المستقلة به، كما كان له الشروح لمصنفاته لتوضيحها وتبسيطها، وهي كالآتي:

شرحان على الأرجوزة التلمسانية [8]

شرح فرائض ابن أبي شريف [9]

شرح فرائض ابن الشاط [10]

شرح منظومة الشران [11]

شرح فرائض التلقين [12]

شرح فرائض ابن الحاجب [13]

شرح فرائض مختصر خليل [14]

شرح مختصر العقباني [15]

شرح أرجوزة الونشريسي في الفرائض [16]

العتبية في الفرائض [17]

كليات الفرائض وشرحها [18]

الضروري في علم المواريث [19]

المستوفي لفرائض الحوفي [20]

تقريب الموارث ومنتهى العقول البواعث [21]

بغية المبتدي وغنية المنتهي [22]

هذا ويلاحظ بالنسبة لتآليفه في الفرائض أنه أصبح يميل في آخر حياته إلى الاختصار بعد أن كان مولعا بالتوسع والبسط في السنوات الأولى من عطائه العلمي يدل على ذلك ما جاء في مقدمة كتابه " شرح فرائض خليل " حيث قال : ((فهذا التأليف قصدت به إرشاد المتعلم وتنبيه المعلم لفرائض الشيخ الإمام خليل، مقتصرا على لفظه وما يليق به فقط من غير تعد إلى غير ذلك ولا شطط إلا ما تمس الحاجة إليه أو يقتضي التنبيه عليه رجوعا عما كنت ارتكبته في شرحه من الحشو والاسهاب وذلك في سن عنفوان الشباب)) [23].

كما يلاحظ أن القلصادي استعمل قواعد علم الحساب في حل المسائل الفرضية وتيسير مشكلاتها ، وأنه كان يستعمل الجداول للإيضاح والبيان ، ويقدم لقسمة التركات ما يحتاج إليه من المعلومات الحسابية ، ويدل على ذلك ما جاء في كتاب " لباب تقريب الموارث "، في الفصل الثالث والفصل الرابع منه [24].

ثامنا: وفاة القلصادي:

بعد رحلة طويلة قضاها في طلب العلم ، وعمر حافل بالجد والمثابرة والعطاء ، توفي القلصادي بباجة تونس في منتصف شهر ذي الحجة من سنة 891هـ الموافق لشهر ديسمبر من سنة 1486م [25].

الخاتمة:

يعتبر أبو الحسن علي القلصادي (ت 891هـ) موسوعة في العلم والمعارف، عرف بشدة الذكاء كما عرف بكثرة الأسفار، فقد جاب مدنا وقرى وركب البر والبحر لطلب العلم وملاقاة الشيوخ، وهو ما دونه في رحلته الشهيرة .

برع القلصادي في علوم شتى منها : الفقه والفرائض والحديث والنحو والمنطق والتصوف وغيرها ...مع نبوغ أصيل في الرياضيات التي أضاف إليها وأبدع فيها. ولا يخفى ما للفرائض من علاقة بالحساب أو الرياضيات فعلم الفرائض هو: علم بقواعد فقهية وحسابية يعرف بها نصيب كل وارث من التركة ".

لذلك انصبت جهوده على التأليف في هذا الفن، فكثرت مؤلفاته فيه، وتنوعت بين مطول ومختصر، وتأليف وشرح لكتب سابقيه، ومن هذه الكتب ما مطبوع مثل كتاب "كليات الفرائض وشرحها " الذي حققه د / منير بن المختار التليلي، ومنها ما هو مخطوط وهو كثير.

هوامش البحث

1- نسبة إلى بسطة وهي بلدة تقع شمال شرقي غرناطة بالأندلس بالقرب من وادي آش

2- نسبة إلى بلدة قلصادة الواقعة شرقي غرناطة .

3- سماها " تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب " حقق هذه الرحلة محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للنشر ، ط 2 /1978م .

4- رحلة القلصادي ص (82) .

5- نفسه

6- نفسه

7- انظر ترجمته في : شجرة النور الزكية (266/1) معجم أعلام الجزائر عادل نويهض ، ص (180).

8- -الأرجوزة التلمسانية في الفرائض لإبراهيم بن أبي بكر التلمساني (609-690 هـ) عليها شروح كثيرة ، والشرحان هما : الشرح الكبير بعنوان " الغرة التونسية في شرح الأرجوزة التلمسانية "،توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس برقم (1613)، والشرح الصغير بعنوان "الغرة المصرية شرح الأرجوزة التلمسانية " توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس برقم (7883)

9- ذكرة المقري في نفح الطيب (694/2) وابن مريم في البستان ص (143) وابن مخلوف في شجرة النور (261/1) .

10- توجد منه نسخة خطية بخزانة القرويين بفاس برقم (323)

وابن الشاط هو : أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد ، فقيه مالكي فرضي أصولي ، له غنية الرائض في علم الفرائض ، توفي سنة 723هـ ، انظر : الديباج المذهب لابن فرحون ص (118/2) الفكر السامي (239/2) وشجرة النور الزكية ص (217) .

11- وتوجد من هذا الشرح نسخة محفوظة في مكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم 610.9174927.

وقد شرح هذا النظم أيضا محمد بن محمد بن إبراهيم العلمي الفاسي (ت1373)

والشران هو: أبو عبد الله محمد بن أبي إسحاق الشَّرَّان قاضي الجماعة بغرناطة اشتهر بنظمه الرائق ،توفي حوالي 837 هـ .

12- ذكره محمد مخلوف في شجرة النور (261/1)

13- نفسه

14 -هذا الشرح له أهمية كبرى ودليل ذلك هو انتشاره في كثير من مكتبات العالم الإسلامي ، وقد حظي بعناية الباحثين ، فحققه الطالب بوجمعة حمد في بحث نال به درجة الماجستير في العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر ،سنة 2008 م ،كما حققه أيضا د/ منير بن المختار التليلي سنة 2001م ، منشورات ELGA.

15- شجرة النور (261/1).

16- والونشريسي هو: أبو علي الحسن بن عثمان بن عطية ، قاض فرضي أديب شاعر (ت 788هـ) انظر :معجم أعلام الجزائر ص (344) .

17- هي الكتاب المسمى بالمستخرجة من تأليف محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة (ت254 هـ) 18- حققه د/ منير بن المختار التليلي .

19-ذكره أبو الأجفان في تحقيق الرحلة ضمن مؤلفاته في الفرائض .

20- توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس، ضمن مجموع تحت رقم 14689.

ونسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط برقم 469 ق.

21 --توجد منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس برقم 19738 ، وبها العنوان الكامل وهو "لباب تقريب الموارث وغنية العقول البواحث " تاريخ نسخها 1072هـ .

22- ذكر سركيس أن هذا الكتاب في الفرائض على المذاهب الأربعة ، وأنه طبع بفاس مع كشف الأسرار ، انظر معجم المطبوعات ع 1520

23- إرشاد المتعلم وتنبيه المعلم لفرائض الشيخ خليل للقلصادي ، تحقيق د/ منير بن المختار التليلي ص (27) .

24- لباب تقريب الموارث (1/ظ -3/و) مخطوط ، دار الكتب الوطنية تونس رقم 19738 .

25- شجرة النور (261/1) و رحلة القلصادي ،تحقيق محمد أبو الأجفان ص (52-54)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

البقرة: ١٥٦